

نظرة إلى لغة الإعلام

دينا عبده زايد
دارسة مصرية

لقد أصبح العالم قرية صغيرة، يدركنا الخبر قبل أن ندركه، وتلحقنا البرامج بأنواعها المختلفة ونحن فى منازلنا لنشاهد ونسمع صوت المثقفين، والأدباء، والشعراء، والإعلاميين، والساسة، وغيرهم ممن لهم قدرة على التأثير فى نفوس مستمعيهم، فإذا كان العالم بالفعل الآن قرية صغيرة، فإن وسائل الإعلام هي النافذة التي نرى من خلالها هذا العالم ونسمع أصواته الصاخبة الواضحة وحتى الهامسة الخفية.

ونظرًا لهذا الدور الذي يقوم به الإعلام من التأثير فى عقول الناس وقلوبهم وحواسّهم فى مناحى الحياة كافة، لزم النظر إلى تأثير لغة الإعلام فى لغة متابعيه، أو فلنقل التأثير المتبادل بين لغة الإعلام ولغة متابعيه؛ إذ يمكننا القول إن لغة الإعلام تؤثر فى الناس مثلما تتأثر بلغة هؤلاء الناس، وكل منهما مرآة تعكس الأخرى.

وهناك من الموادِّ الإعلامية ما يُلتزم فيها باللغة العربية الفصحى؛ لذا فهي ليست موضع حديثنا، وبالطبع هناك من البرامج أنواع عديدة: سياسية، وثقافية، واجتماعية، كلٌّ تختلف لغته عن الآخر، ومن البرامج التي ظهرت فى الآونة الأخيرة -والتي تجمع بين فقراتها أشكالاً من كل الأنواع السابقة- برامج «التوك شو»؛ لذا فهي مثال واضح يمكننا تسليط الضوء عليه؛ لأنها من أقرب أنواع البرامج لقلوب الناس، ولذا فهي ذات تأثير واضح عليهم عامة وعلى لغتهم خاصة.

ومن الواضح وضوح الشمس أن لغة الإعلاميين فى هذه البرامج تتدهور يومًا بعد يوم، وتتغلغل فيها العامية أكثر من اللازم، ويا ليتها عامية تناسب المثقفين والمتنورين بل إنها عامية تكاد تقترب من عامية الأميين، وربما السبب فى هذا هو رغبة الإعلاميين فى التواصل مع المستويات الثقافية كافة، وربما السبب هو سوء اللغة على ألسنة الإعلاميين أنفسهم، وهذا هو الأرجح؛ إذ ليس من الضرورى -فى وقتنا هذا- أن يكون الإعلامى على قدر كبير من التعليم والثقافة وإتقان اللغة، بل اننا نجد أناسا أقرب إلى الجهالة منهم إلى أي شيء آخر، بالإضافة إلى تأثرهم بلغة العوام فى الشارع، والتي يتأثر بها المجتمع بأسره، فهي لغة الباعة فى السوق وسائقي المواصلات و... إلخ، وهي لغة متأثرة بكل ساقط هابط من جديد اللغة -إن صح التعبير-

وللأسف فإن السيئ غالبًا له التأثير على الأعلى منه وليس العكس، والإعلاميون فى ذلك شأنهم شأن بقية الناس، يتكلمون بلغة متأثرين هم بعوامل خارجية فيها مثلما يؤثرون فيمن يستمع لهم بالطبع، ربما بالإيجاب حينًا وبالسلب أحيانًا أخرى.

ونظرًا لهذا التأثير المتبادل بين الفئتين، فإنه يمكن استغلال هذا التأثير استغلالاً حسنًا عن طريق الإعلاء من المستوى اللغوي للإعلاميين شيئًا فشيئًا، وذلك من خلال تنمية ثقافتهم، وتعليمهم العربية الفصحى حتى يجيدوها إجادة تامة، وتجريم النطق بالسباب والشتائم التى تشين الكلام فتشين معه لغة الكلام، وحتى نعالج الموضوع من جذوره فيجب أن يتم الاهتمام بتدريس اللغة العربية فى كليات الإعلام، وألا يعمل فى هذا المجال سوى المتخصصين، وهذا من أجل تنمية اللغة على ألسنة العوام الذين يستمعون للغة الإعلاميين، وبهذا نكون اتخذنا من الإعلام -الذى هو أكبر وسيلة للتأثير فى الناس- وسيلة لتنمية اللغة، وبهذا يتم الإعلاء من شأن اللغة، ويمكن القيام بهذه المهمة أيضا من خلال القيام ببرامج متخصصة فى تعليم اللغة العربية للناس، وتحبيبهم فى اللغة، من أجل أن يرتفع شأن اللغة فى أعين متكلميها.

وتجنبًا للفهم الخطأ لمستوى اللغة الذي نرجو وصول الإعلاميين إليه، فإني ألْفت النظر إلى أن للفصحى مستويات، وللعامية أيضًا؛ ولذلك فإن لكل برنامج مستوًى معينًا من اللغة يجب فيه التحدث بها، ولكن هذا المستوى لم يتم الالتزام به للأسف وهنا تكمن المشكلة، وأصبح مستوى الفصحى متدنيًا ومستوى العامية متدنيًا أيضا ومبتذلاً تشمئز منه الأذن، ولا يجب أن يخرج من فم إعلامي له منبر تسمعه منه أعداد كبيرة من الناس وتتأثر بما يقول، وتتخذه قدوة فى كثير من الأحيان، بالإضافة إلى إدخال العامية فى المواضع التي يجب فيها التحدث بالفصحى، فإننا بهذه الطريقة نزيح الفصحى من طريقنا شيئًا فشيئًا، وإذا التزم أحد بها فى موضعها يضجر منه المستمعون؛ فما اعتادوا على ذلك، بل اعتادوا على لغة رديئة ركيكة، إننا بذلك نهدمها هدما، ونهجرها بشكل ظالم لها، فهي ليست بالقبيحة التي تهجر، وليست بالركيكة أو التى لا تفي بالغرض لكي نتجنبها، بل إن من يتجنبها يتجنبها لأنها أعلى من مستواه الثقافى، فبالطبع كلما ارتفع شأن الفرد تعليمًا وثقافة، ارتفع مستوى لغته، فلننتبه فلغة الفرد تعكس مدى تحضره، وأيضًا لغة إعلامنا -كدولة يسمعها العالم كله- تعكس مدى تحضرنا كشعب.